مخرجة دكتاتورية تبحث عن التميّز في روايات الكبار

كاملة أبوذكري

سيدة المهام الصعبة في الدراما المصرية



محمد عبدالهادي صحافي مصرى

ح تمكنت كاملة أبوذكري من حفر اسمها في صناعة الدراما المصرية خلال العقد الأخير، بعدما تبنت اتجاها فنيا مغايرا لأبناء جيلها، فلم ترضخ لضغوط المنتجين في فرض أسماء بعينها على فريقها للعمل، وتحابلت على غياب أوراق السيناريو الجيدة باقتراح روايات ثرية على الكتاب ونقلها إلى عالم المسلسلات، محافظة على تقديم مضمون يتسم بثراء الأحداث والمشاعر النفسية العميقة في

وتسير أبوذكري، التي ولدت في القاهــرة عام 1974، على درب جيل الرواد من المخرجين في الاهتمام بالتفاصيل، وتقديم رؤى جريئة ومغايـرة حتىٰ لو كانت صادمة، ممتلكة نظرة مختلفة تستطيع بواسطتها إعادة اكتشاف مؤهلات الممثلين، فتدفع ببعضهم إلى ساحات غير متوقعة، وتنقلهم بسلاسة من حلبة الأدوار المركسة إلى ساحة الكوميديا والعكس، دون خوف أو تردد.

ودائما ما تثير الجدل داخل الساحة الفنية، لعجزها عن اتباع اللغة المتلونة التي يتحدث بها الفنانون عن بعضهم في تحارب فنية مشتركة، وتبدي رأيها صراحةً في شـخصياتهم وتجاربهم، ما يجعلها مخْرجـة وناقدة في الوقت ذاته، وهـو أمر غيـر معتاد في وسـط يقتات كثيرا على المحاملة.

أثارت مؤخرا معركة محتدمة على مواقع التواصل الاجتماعي، حين اتهمت عدداً من الممثلين الذين دفعت بهم لفريق مسلسلها الأخير "100 وش" بالغرور رغم محدودية شهرتهم، وتعرضت لهجوم من ممثلب كبار لم تقصدهم بعدما أنهت تغريداتها بعبارة "أنتم مين أصلا؟".

ض*د*الجميع

تمتلك تعريفا خاصا للفن تحصره في الالتــزام والمصداقية، ولا تتردد في حذف مقاطع من أعمالها، بصرف النظر عمن يجسدها حال إخلالها بالسياق، مثلما فعلت مع أحمد الفيشاوي باقتطاع 15 وشطبت دور الفنانة سماح أنور بالكامل عندما وجدت أن مظهر الشعر المستعار الذي ترتديه سيء تمثيليا، مع أنها اضطرت إلى حلق شعر رأسها استجابة لمطالب المخرجة لأجل مشهد لا يتعدى أربع دقائق.



الفضل في تشكل الوعي الإخراجي لها يعود إلى عملها كمساعدة لأجيال مختلفة من المخرجين، مثل عاطف الطيب رائد المدرسة الواقعية في السينما، ونادر جلال الأشهر في مجال أفلام الحركة والأكشن، ورضوان الكاشف أستاذ القصة المأساوية القاسية

وتتعرض كثبرا لاتهامات لا تنكرها من قبيل الدكتاتورية، بفرضها شـروطا شديدة الصرامة لضمان ظهور كل ممثل وممثلة بشكل منطقى. فمثلا أجبرت إلهام شاهين رغم اسمها الكبير على الحفاظ على وزنها لمدة 36 شهرا، لحين استكمال تصوير دورها، بعد تعطل تصوير أحد الأعمال بسبب أحداث الثورة المصرية، وألزمت نيللي كريم بإبقاء حواجبها دون تهذيب، وناهد السباعي بتقصير شعرها لعدة أشهر من أجل الدور.

ترفض المخرجة المصرية أي قيود أو اعتبارات حال تعارضها مع الرسالة الفنية، ففي مسلسل "واحة الغروب" المأخوذ عن رواية الأديب بهاء طاهر تحمل نفس الاسم، لم تتهرب من تقديم مشهد الانجذاب العاطفي المثلي بين





توصل الفكرة دون تقديمها مباشرة.

الاعتراضات على شخصيات منستة،

واعتبرت تلك المشاهد محركا للأحداث،

ترى أن الممثل هو العنصر الأساسي

في العمل الفني، فمهما كان السيناريو

والإخراج جيدا لن يترك صدى مع

الجمهور، إذا افتقد التمثيل إلى الصدق،

وربما يكون ذلك الدافع وراء اختيارها

الدائم لنيللي كريم كبطلة لغالبية أعمالها

لاعتزازها بقدراتها على التلون، ولعب

منطقية لشخوصها، ففيّ "واحة الغروب"

اقترحت علئ بطلتها منة شسلبى السسفر

إلىٰ أيرلندا للتعرف علىٰ طبيعة الشسعب

الذي ستمثله في شخصية "كاثرين"،

واستعانت في الوقت ذاته بشخصين

يحملان الجنسية الأيرلندية يقيمان في

مصسر، أحدهما يتحدث الفصحي والآخر

بالعامية لتعليمها كيفية التدرج في

اللغة باستمرار، وظلت ستة أشهر في

واحة سيوة بالصحراء الغربية لمصر

لإنهاء العمل دون أن تعود ولو مرة

واحدة لأسرتها في القاهرة. ما يميزها

هـو اقتناص الفرصـة، فحينما عرض

عليها المنتج حمال العدل مسلسل "100

وش" لم تتردد وتوجهت إلىٰ مقر شركته

مخاطرة التورط في عمـل كوميدي، رغم أنها مهووسة بالأعمال العميقة، فحسية

نجاح أي عمل يكمن في السيناريو الجيد

وليس جمع عدد من الفنانين يتبارون

في إلقاء النكات، مثلما يحدث في غالبية

تنغمس كثيرا في التفاصيل لخلق

أتت كنتاج للحرمان العاطفي.

شخصيات متباينة بكفاءة.



للعب دور في أعمالها كغيرها من المخرجين

تتسم أبوذكري بشخصية عنيدة

مثابرة، ففي تصوير مسلسل "ذات"

رفضت اقتراح الإنتاج بتغيير السيناريو

للتخلص من إحدى بطلات العمل التي

اعتادت التأخير عدة ساعات، واستحدثت

نمطا من العقاب شبيها بأسلوب المعلمين

في المدارس، فنادتها طوال جلسات

التصوير باسم الشخصية التي تؤديها،

وليس اسمها الحقيقي، بما يتضمن نوعا

ترى أن الحياة لا تستقيم الا بالدية،

لذلك أطلقت على ابنتها اسم "أبيّة"،

وتقول إن النصيحة التي توجهها لها

باستمرار هي "عيشي حرة دائماً"، ويمتد

هذا العشيق إلى الفن فحين سيالها مذيع

مشساكس عن أول قراراتها حال اختيارها

م ليوم واحد فقط، د

من المنطلق ذاته، خالفت الرأى السائد

في الوسـط الفني حــول الثنائــي عمرو

وأكد وخالد أبوالنجا، واعتبرتهما فنانين

خســرهما الفن بسبب المواقف السياسية،

وبررت دفاعها عنهما إزاء حملات التشكيك

في الوطنية والتخوين، بحق كل إنسان

تنتقد أبوذكري تأثيس الاحتكار

على الفن الذي يهدد حياة

الكثير من الأشخاص الذين

يقتاتون من العمل

في المسلسلات،

وصنفت الدراما

في تبني الآراء والأفكار التي يريدها.

لكي تكون وجهًا معروفا للجمهور.

شخصية عنيدة

من التوبيخ والتأنيب.

تردد "إلغاء الرقابة".

يجسدها، مثلما فعلت مع أحمد الفيشاوي أو سماح أنور التي شطبت دورها بالكامل.

محاولية للاقتياع بالفكرة لنبيدأ بعدها بطلتيه "كاثرين" و"مليكة" بصورة ذكية التفتيش عن كاتب لتحويل الأحداث الروائية إلى حوارات حية، فالعملية وفي فيلم "واحد صفر" لم تخش الاقتراب من أشواك قضية الطلاق في الإخراجية لها شعور وجداني في المقام الديانــة المسـيحية بصـورة نقدية، رغم

عشق الأدب

اللـه إبراهيـم، و"واحة الغـروب" لبهاء مداعبة الخيال.

لا يمكن عزل ذلك العشيق عن كونها ابنة للرحيل"، و"الإعصار"، و"التحويلة".

وهي تعميل حاليا عليي تحوييل المحموعيّة القصصيية "تحيّ المظلّة" للأديب الكبير نجيب محفوظ إلى عمل سينمائي بالتعاون مع كاتبة السيناريو مريم نعوم، في انتقاء يكشف استمرار

الأعمال ذات الصدفة التاريخية، واختيارها لعمل تمت كتابته بعد نكسة يونيو 1967، مليء بالرمزية عن صعود وهبوط الشخصية المصرية. رغم تعلقها الظاهر بالماضي، لكنها رفضت تقديم السير الذاتية

الأعمال الخفيفة للضحك حاليا. تتسم بمرونة شديدة في التعاطي مع الصناعة الإنتاجية، فحينما تعرض سوق الأفلام لأزمة على الصعيد الإنتاجي، انتقلت إلى الدراما حاملة إليها تكنيكات السينما، وتبنت مدرسـة خاصة ترفض إعادة تصوير المشاهد أكثر من مرة، واستعاضت عنها بالتحضير الطويل للتصويس، وعقد ورش عمل ويروفات مع كاتب السيناريو والممثلين بملابس الشخصية لضمان أدائها جيدا أمام

> يعود الفضل في تشكيل الوعي الإخراجي لعملها كمساعدة لأجيال مختلفة من المخرجين، مثل عاطف الطيب رائد المدرسة الواقعية في السينما، ونادر جلال الأشهر في مُجال أفلام الحركــة والأكشــن، ورضوان الكاشــف أستاذ القصة المأساوية القاسية، ومحمد القليوبي، الشهير بمؤرخ السينما المصرية لميله إلى الأفلام الوثائقية، قبل أن تتعامل مع جيل جديد جنح بالسينما نحو الكوميديا مثل على إدريس، ووائل

الكاميرا من مرة واحدة.

وتكسير كاملة الحلقات المعتادة في صناعــة الســينما والدراما، فــلا تنتظر حتى تأتيها أوراق عمل الجيد ولا ترتكن للشكوى من قلة كتاب السيناريو النابغين، فتفتش في الروايات عما يصلح، وتتوجه للشركات المنتجة في

قيمته الكبيرة، وترى أنه ليس شـخصية تاریخیے کے پتے تناولہ ویجب ترك صورته في أعين جمه وره كما هي دون تقليب في حياته المليئة بالأسرار مثل غيره من الفنانين الكبار. تترك أبوذكري لنفسها فرصة التقاط

الأنفاس بين عمل وآخر، للتقييم والبحث

عن الجديد والمختلف، وتتمسك بأن

تكون صاحبة الكلمة الأولىٰ والأخيرة في

توظيف الكاميرا، فلم تتراجع قبل أعوام

عن الانسحاب من مسلسل "زي الشمس"

بعد تصويرها تسع حلقات، والمطالبة

بحذف اسمها من مقدمته، احتجاجا على

محاولة الجهـة المنتجة فـرض كلمتها،

واعتبرت المخرج مايسترو العمل، ولا

يصح أن يكون ضعيفا أو منساقا، فهو

بستشير الآخرين لكنه صاحب القرار،

معللة انسحابها برفضها أن تكون

"طرطور"، وهي كلمة نابية تطلق على

الأجيال التي تعلمت منها، ففي قصف

جبهة الوجوه "المغمورة المغرورة"

تستند ليوسف شاهين الذي قال إنها

نوعية لن تستمر على سلم النجاح،

وفى رفضها التنازل عن حقها الكامل

في اختيار الممثلين، تؤكد أنها لن تخون

ضميرها وما درسته في المعهد العالى

للسينما، ومن تربت على أيديهم من

جيل الكبار. وتفضل الاعتماد على فريق

متكرر بحثا عن "الكيمياء المشتركة"

والتفاهم السلس،

ي كـريم التي

وفي مواقفها ترتكن دائما إلى

وقعت أسيرة لعالم الأدب، فقدمت من أرففه روايتي "ذات" للأديب صنع طاهر، ومسرحية "سجن النساء" لفتحية العسال، في مخاطرة كبيرة، فتفتح مقارنة مستمرة بين العمل الفنى والقصة الأصلية، وما تحمله في أحشَّائها من جماليات فنية وإبداعية وقدرة على

الكاتب الصحافي الراحل وجيه أبوذكري، الذي وضع مؤلفات شهيرة مثل "مذبحة الأبرياء في 5 يونيو"، و"الزهور تدفن في اليمن"، و"أنــواع من النســاء"، و"حرب أكتوبس شهادة إسسرائيلية"، ولم يكن بعيدا عن عالم السينما بعدما كتب أعمالا شهيرة مثل "ضد الحكومة"، و"ملف سامية شعراوي"، و"الشعطان يستعد

للفنانين الذين يتم تصويرهم بمصر غالبا ما

يتم في صورة ملائكية بلا أخطاء، ورفضت بقوة تحويل قصة حياة الفنان أحمد زكى

المصرية حينها بأن ترتيبها الرابع على أعمال ناجحة، ومديرة التصوير نانسي المستوى العربي بسبب تخلي الدولة عبدالفتاح ذات الميول الفنية التشكيلية، عن الإنتاج. ولهذا تطالب بدعم الإنتاج والملحن تامر كروان، ومخرج المقدمات الرسمى بالشكل الحقيقي وإنهاء عبارة الغنائية عطية أمين، زميلها وشريكها في "إنتاج للأسرة المصرية"، فالفنان ليس أعمال عدة، رغم تخصصه في الإخراج. معلما كي يعطى درسا للأجيال القادمة، لكنها تعــرف حدود عمــلّ كل عناصر والفن حرية وجمال وأفكار، ودللت بأفلام المنظومة، فلا تنتابها الغيرة الداخلية "واحــد صفــر"، و"ملك وكتابــة"، و"قطار من تحقيق أبطالها الشهرة على حسابها، الساعة السادسة"، التي أخرجتها بتمويل وتعتبرها ضرورة من ضرورات الصناعة رسمي رغم جرأة موضوعاتهاً. التي تجعل مَن أمام الكاميرا يحصل على مزايا عمن يقف خلفها، ولم تدفع بنفسها

تحتل قضايا المرأة جـزءا كبيرا من أعمال أبوذكري، لكنها تعتبرها صدفة، وترفض مصطلح السينما النسائية، لأن الفن عندها تجسيد للمجتمع بشكل عام بشقيه الذكوري والأنشوي معا، وغالبية المهتمين بالقضايا النسائية كانوا رجالا مثل المخرج محمد خان الذي قدم عدة أعمال عنها أهمها "فتاة المصنع" و"في شقة مصر الجديدة".



فيلم «واحد صفر» لم تخش أبوذكري الاقتراب فيه من أشواك قضية الطلاق في الديانة المسيحية بصورة نقدية، رغم الاعتراضات، واعتبرت تلك المشاهد محركا للأحداث، أتت كنتاج للحرمان العاطفي

ما يهمّها هو جودة الصناعة في المقام الأول، فتقول إنها لو تعاملت مع فنان بقيمة عادل إمام في عمل مشترك، ستأخذ مشــورته في فريق العمــل، ملمحة إلىٰ أن القرار النهائي سيكون لها، ودخلت في خلاف مع صديقتها مريم نعوم بسبب تأخيرها في تسليم سيناريو حلقات أحد المسلسلات المستركة بينهما، ما يعطل قدرات الإخراج على التحضير للعمل ومراعاة متطلباته الوقتية.

لا تزال كاملة أبوذكري تفضل السينما

على الدراما، رغم النجاح الذي حققته مسلسلاتها، باعتبار الأولىٰ تتضمن مساحات أكبر من الحرية دون دعوات التحفظ المرتبطة بجمهور الدراما الواسع، وتعتبر أن تخلى الممثلين عن الأدوار الجريئة أفقد الأفلام جزءا من وألقها.